

اتحاد المؤرخين العرب
بالقاهرة

١٦

مجلة المؤرخ العربى

تصدر عن
اتحاد المؤرخين العرب
بالقاهرة

بلاد تهامة والسراة كما وصفها الرحالة

والجغرافيون المسلمون الأوائل

بقلم

دكتور غيثان بن على بن جريس(*)

عندما نذكر بلاد تهامة والسراة يتبادر الى أذهاننا أماكن عدة في شبه الجزيرة العربية، ولكن ما نريده في هذه الدراسة هي السهول التهامية والجبال السروية الواقعة بين نجران وجازان جنوبا ومكة المكرمة والطائف شمالا . والسبب الذي جعلنا نقتصر في حديثنا على هذه المنطقة دون غيرها هو : أن مدن الحجاز الكبرى (مكة المكرمة والمدينة المنورة وما حولهما) ومدن اليمن مثل : صنعاء وصعدة وزبيد وعدن ، نالت اهتماما كبيرا من المؤلفين الأوائل في التراث الاسلامي ، وعلى الخصوص من الجغرافيين والرحالة .

أما المنطقة الواقعة بين الجزئين السابقين الذكر ، والتي أطلقنا عليها اسم تهامة والسراة ، فقد بقيت ولا زالت مجهولة على مر التاريخ ، فلم يعن المؤلفون والرواة الأوائل بالحديث عنها في مؤلفاتهم ، وإذا ورد ذكرها أو ذكر جزء منها لا يرد الا لمأما ، اذا قيس بما دون عن الحواضر الكبرى في الجزيرة العربية . لهذا السبب رأينا من الضروري اعطاء هذه المنطقة حقه من البحث والدراسة مستعينين بكتب الجغرافيا والرحلات التي دونت في العصر الاسلامي الوسيط . وما الجغرافيون والرحالة المسلمون الا رافدا من الروافد التي أثرت التراث الاسلامي ، حيث قضوا جل حياتهم في الترحال والتجوال في مختلف أقطار العالم وبخاصة الاسلامي، فكتبوا عن سهوله وجباله، وأوديته وأنهاره، وطرقه البرية والبحرية، وأجناسه، وعناصره، وعاداته، وتقاليده، وعن سكانه وما

(*) أستاذ التاريخ الاسلامي المشارك ورئيس قسم التاريخ بكلية التربية

جامعة الملك سعود - فرع أبها .

ينتجون من حاصلات وثمار ، وما يصدرون بواسطة الطرق البرية والبحرية ، الى الأسواق الخارجية أو المحلية .

وحظيت الجزيرة العربية أكثر من غيرها بوفود عدد كبير من الرحالة اليها قصد الحج وزيارة قبر الرسول ﷺ ، وهم فى العادة يدونون ما يشاهدون فى رحلاتهم أثناء ذهابهم أو إيابهم لاداء فريضة الحج ، وزيارة قبر الرسول ﷺ حيث كانوا يأتون من كل فج وصقع من الجهات الغربية للدولة الاسلامية كالمغرب والأندلس ، ومن الجهات الشرقية ، كالعراق وبلاد فارس ، فضلا عن بلاد الشام ومصر (١) . وكان مما نال نزرا بسيطا فى التدوين بلاد السراة ، حيث كان للرواة من رجالها دور فى تدوين بعض المعلومات عنها . وقد يقوم بعض الرحالة فى الذهاب الى بعض الأجزاء التهامية والسروية للمشاهدة والمعاينة على أرضها ، أو ربما شاهدوا بعض التهاميين والسرويين عند قدومهم الى مكة المكرمة والمدينة المنورة ، حيث كانوا يتميزون فى هياتهم والبستهم . وكان لاتجاه الرحالة أثر كبير فى تدوين رحلاتهم ، فأبن بطوطة ، على سبيل المثال ، خرج من جزيرة سواكن على شاطئ السودان ، متجها نحو اليمن ، مارا ببعض المدن الساحلية الشرقية على البحر الأحمر فدون عنها معلومات لا بأس بها (٢) ، ومنهم من تنقل بين مدن اليمن والحجاز عبر بلاد السراة كالهمدانى الذى دون هو الآخر معلومات قيمة ، عن بعض الأجزاء السروية وما جاورها من المناطق ، قد لا نجدها عند غيره من الجغرافيين والرحالة السابقين واللاحقين (٣) .

وفى هذه الدراسة سوف يقتصر حديثنا على الجغرافيين والرحالة الذين ذكروا بلاد تهامة والسراة فى مدوناتهم فى الفترة الواقعة ما بين القرنين الثالث والثامن الهجريين . والسبب الذى جعلنا لم نتطرق للفترة التى سبقت القرن الثالث ، هو عدم وجود الكتب والمؤلفات التى دونها الجغرافيون المسلمون أثناء رحلاتهم الى هذه الديار فى ذلك الدور ، فلم تظهر بعض المؤلفات ظهورا واضحا الا فى العصر العباسى الثانى ، وعلى وجه التحديد فى أوائل القرن الثالث الهجرى . على أن تلك المؤلفات عنت فى المرتبة الأولى بوصف أجزاء وأقاليم الدولة

الإسلامية وما يجاورها من البلاد ، أما باقى أخبار رحلاتهم فكانت تتضمن أموراً سياسية واجتماعية وفكرية واقتصادية ومعلومات متممة للحديث عن البلد أو المنطقة التى يدونون عنها فى مؤلفاتهم .

وتجدر الإشارة الى أن الرحالة والجغرافيين الأوائل لم يرد فى مؤلفاتهم ما أوردناه عنواناً لبحثنا (بلاد تهامة والسراة ٠٠٠٠) وإنما أشاروا إليها كمنطقتين منفصلتين ، وذهب بعض الجغرافيين الى أن الأجزاء الجبلية الممتدة من الطائف الى نجران جزء من سلسلة جبال السروات أو جبال الحجاز الفاصلة ما بين الأغوار التهامية الساحلية فى الغرب والأجزاء الشرقية النجدية فى الشرق (٤) .

وتبدأ جبال الحجاز أو السراة عند الكثير من الجغرافيين من فلسطين شمالاً الى صنعاء جنوباً . وهناك وجهات نظر متباينة حول طولها وعرضها ، وعن حدود الحجاز شمالاً وجنوباً ، لكن الشئ الثابت أن جبال السراة لا تتوقف من جهة الجنوب فى نجران أو صعدة وإنما تمتد الى أقصى بلاد اليمن (٥) ، ولكن ما يهمنا هو دراسة الجزء الواقع بين المنطقتين السابقتين الذكر (الحجاز واليمن) والذى سميناه (بلاد تهامة والسراة) نظراً لأن هذا الجزء لم يأخذ حقه فى التدوين ، ولم يأخذ أيضاً نصيبه فى البحث عند المعاصرين ، لهذا قمنا - بعد التوكل على الله - ببذل الجهد ، لنعمل ما فى وسعنا على إبراز صورة لاقليم السراة وتهامة ، وأن اختلفت مواقع الحواصر فى تلك المنطقتين حسب ما ورد عند الجغرافيين . فالبعض منهم يرى أن جميع ما يقع غرب السراة يسمى بتهامة (٦) . وإذا أخذنا بوجهة النظر الثابتة ، فإن الأجزاء الغربية من بلاد السراة الممتدة على ساحل البحر الأحمر تعد جزءاً من تهامة ، لهذا اسميناها بتهامة تمييزاً لها عن المناطق الجبلية من السراة .

وممن تحدث عن بلاد السراة ابن الفقيه فى كتابه البلدان الذى ألفه فى القرن الرابع الهجرى حيث يقول « ٠٠٠ سراة بين تهامة ونجد أدناها بالطائف ، وأقصاها قرب صنعاء ، والسروات أرض عالية ، وجبال مشرفة على البحر من الغرب وعلى نجد من الشرق ، والطائف

من سراة بنى ثقيف ، وهو أدنى السروات الى مكة ، ومعدن اليرم هي السراة الثانية ، بلاد عدوان فى بركة العرب وبها معدن البلور . . . » (٧) ويذكر ياقوت الحموى فى كتابه (معجم البلدان) معلومات جيدة ، ومكملة لما ذكره ابن الفقيه فيقول « . . . والسراة الثالثة أرض عالية وجبال مشرفة على البحر الأحمر من الغرب وعلى نجد من الشرق ، وسراة بنى شبايه . . . » (٨) ، ثم يشير الى بعض الأجزاء الواقعة الى الغرب من السروات فيورد « . . . وبأسفل السروات أودية تصب الى البحر الأحمر منها : الليث ، وقنونا ، والحسية ، وضنكان ، وعشم ، وبيش ، ومركوب ، وعليب » (٩) . ويتفق كل من القزوينى وياقوت الحموى على أن أهل السراة القاطنين من الطائف شمالا حتى صعدة جنوبا من أفصح الناس لغة ، وأكثر ممن اتسمت ألسنتهم ببلاغة القول ، كهذيل القاطنة بجوار الطائف ، وبجيلة وثقيف والأزد فى وسط السراة (١٠) . وزيادة فى القول يضيف المقدسى ، من أبناء القرن الرابع الهجرى ، معلومات أكثر تفصيلا من سابقه ، فيذكر أسماء بعض المواقع ما بين صعدة ونجران جنوبا والطائف شمالا ، حيث يقول : « القبائل تأخذ من السروات نحو أهل الشام فتقع فى أرض الأغر بن هيثم ، ثم تخرج الى ديار يعلى بن أبى يعلى ، ثم الى سردد ، ثم الى ديار عنز وائل فى بنى غزیه ، ثم تقع فى ديار جرش ، والعتل وجلجل ، ثم الى ديار الشقرة بها خثعم ، ثم فى ديار الحارث . . . ثم فى شكر وعامر ، ثم فى بجيلة ، ثم فى فهم ، ثم فى بنى عاصم ، ثم فى عدوان ، ثم فى بنى سلول ، ثم فى مطار . . . » (١١) ويستدل مما ذكره المقدسى أنه ربط ما بين ذكر الأماكن الواقعة بين صعدة والطائف والقبائل القاطنة لها .

ويشير ابن المجاور ، من مؤرخى القرن السابع الهجرى ، الى معلومات تختص بالنواحي الحضارية لأهل تهامة والسراة ، لا نجدها عند غيره ، فيقول : - « فأما السرو فانهم قبائل وفخود من العرب ليس يحكم عليهم سلطان بل مشايخ منهم ، وفيهم بطون متفرقون . . . » (١٢) وفى مكان آخر يتحدث عن المناطق الواقعة بين صعدة والطائف ، وبخاصة الأجزاء السروية فيذكر أن جميع تلك المناطق قرى متقاربة

بعضها من بعض فى الكبر والصغر ، ثم أن كل قرية تكون وحدة بأهلها . وكل فخذ أو بطن من البدو يقيم فى قرية ، ولا يسكن قراهم ولا ينزلها أحد سواهم (١٣) ، ثم يواصل حديثه عن تلك الأجزاء السروية وأهلها فيقول « وقد بنى فى كل قرية قصر من حجر وجص وكل واحد من أهل القرية له مخزن فى القصر يخزن فيه جميع ما يكون له من حوزة وملكه ، ولا يأخذ منه الا قوت يوم بيوم (١٤) ، ويكون أهل القرية محتاطين بالقصر من أربع ترابيعة ، ويحكم على كل قرية شيخ من مشائخها كبير القدر والسن ذو عقل وفطنة ، فاذا حكم بأمر لم يشاركه ولا يخالفه أحد فيما يشير عليهم ويحكم فيهم (١٥) ، وجميع من فى هذه الأعمال لم يحكم عليهم سلطان ، ولا يؤدون حراجا ، ولا يسلمون قطعة ، وكل واحد منهم مع هوى نفسه ، وبهذا لا يزال القتال دأبهم ويتغلب بعضهم على مال بعض ، ويضرب قرابة زيد على أموال عمرو ، وهم طول الدهر على هذا الفن ، وجميع زرعهم - الحنطة والشعير وشجرهم الكروم والرمان واللوز ويوجد عندهم من جميع الفواكه والخيرات ، واكلهم السمن والعسل ، وهم فى دعة الله وأمانه ، وهم فخذ يرجعون الى قحطان وغيهم من الأنساب ... » (١٦) .

وقد أورد لنا ابن المجاور ، من رحالة القرن السابع ، نصا يؤكد ما تحويه منطقة السراة من حصون ومخازن لغرض الحرب وتخزين المواد الغذائية عند الحاجة . وما نشاهده الآن ما هو الا رموز تدل على صحة الروايات السابقة . وقد تبين لنا فى مقابلاتنا مع كبار السن فى عدة أماكن من تهامة والسراة حول الحصون ومهامها أن لها مهمتين ، الأولى مهمة حربية ، والثانية أنها تعد مستودعات لخزن الحبوب ، كما تبين لنا من الأقوال والمشاهدة أن البنية الاجتماعية فى تلك المناطق تعتمد على القبيلة التى تعد الوحدة الأساسية فى المجتمع ، ويعد شيخ القبيلة السيد الحاكم الذى لا ينازعه أحد فى سلطانه ، وهو الذى يعلن الحرب ، وهو الذى يطفئها مع المشايخ الآخرين . ولهذا ينعم بقية الأفراد فى المجتمع القبلى بالأمن بمقدار ما يمنحه الشيخ لهم ، ويصحب الحروب عادة السلب والنهب ، وتسود شريعة الغاب ، فالقوة هى الحق . وليس الحق هو القوة .

وينتقل ابن المجاور فى حديثه عن بلاد السراة الى ذكر بعض
الاجزاء التهامية ، فيذكر ميناء السرين (١٧) ، ويسميه بناية القرس ،
على ساحل البحر الاحمر (١٨) ، ولا ندري لماذا وصفه بهذه الصفة ، هل
لان مبانيه وبعض سكانه كانوا من الفرس ، أم ماذا ؟ ويشير أيضا الى
بلدة حلى (١٩) ، وهى تقع الى الجنوب من السرين فيقول عنها هى
« بلد فيه جامع ومنارة ، وأول من أخربها غازى بن متكلا من
بنى حارث الكردى فى أيام دولة سيف الاسلام طغتكين بن أيوب (٢٠) ،
وبقى المكان على حاله الى أن أعاد بناءه موسى بن على بن عطية ، وهو
الى الآن مالکها ، وجميع هذه الأعمال لبنى كنانة ٠٠٠ » (٢١) ولم يكن
ابن المجاور هو الوحيد الذى انفرد بالحديث عن السرين وحلى وانما
أشار المقدسى الى هاتين البلدتين وأضاف اليهما بلدتى بيش وعثر ، ثم
ذكر عن السرين أنها بلدة صغيرة لها حصن وبها جامع ثم قال عن
علاقتها ببلاد السراة أنها « فرضة السروات ، والسروات معدن الحبوب
والخيرات والتمور والعسل الكثير » ثم قال عن ديار السراة « ولا أدري
هى مدن أم قرى لأنى ما دخلتها » (٢٢) ، وأشار الى حلى فى عهده
بأنها مدينة ساحلية عامرة (٢٣) ، أما بيش فوصفها بطيب الهواء وعذوبة
الماء ، وأشار الى أن السلطان يقتنى بها بيتا الى جانب الجامع (٢٤) ،
ويذكر (عثر) فيقول : « ناحية جليلة عليها سلطان يرأسها ،
ومدنها نفيسة ، وهى مدينة كبيرة طيبة مذكورة لأنها قصبة الناحية
وفرضة صنعاء وصعدة ، بها سوق حسن وجامع عامر يحمل اليهم الماء
من بعد ٠٠٠ » (٢٥) ويبدو أن المقدسى يمتاز بدقة المشاهدة والأمانة فى
الكلمة بدليل ما ذكره عن بلاد السراة عندما قال : - لا أدري هى مدن
أم قرى لأنى ما دخلتها .

وفى النصف الأول من القرن الخامس الهجرى يبرز أحد الرحالة
الكبار ممن ذاع صيتهم ، وهو ناصر خسرو الفارسى الذى حج أربع مرات
فيما بين ٤٣٨ - ٤٤١ هـ ، ثم كتب رحلته المعروفة بـ (رحلة ناصر خسرو)
فذكر فيها بعض المعلومات عن بلاد تهامة والسراة ، نقلا من بعض
الرواة ، لأنه لم يغادر مكة المكرمة والطائف صوب الجنوب ، فقال عنها
« اذا غادرت مكة وسرت جنوبا ، وصلت بعد مرحلة واحدة اليمن ،

وجبل السواحل الواقعة على الساحل الجنوبي هي من أرض اليمن . وأرض الحجاز وأرض اليمن متصلتان ، وأهل الحجاز واليمن لسانهم العربية ، وتسمى أرض اليمن حمير ، وأرض الحجاز أرض العرب » ثم يقول في مكان آخر « وأرض العرب تمتد من الكوفة الى مكة ، أما من مكة الى عدن فيسمى أرض حمير » (٢٦) .

وفى اشارة أخرى مما دونه ناصر خسرو عن هذه البلاد ، ذكر أن أرض حمير تنقسم الى ثلاثة أقسام ، القسم الأول : تهامة ويتضمن ساحل بحر القلزم ، ويقع هذا الجزء فى الناحية الغربية من أرض حمير . والقسم الثانى من تهامة سماه نجدا ، ويذكر أن بهذا الجزء مناطق شديدة البرودة ، ومضائق جبلية ، وحصونا محكمة . أما القسم الثالث من تهامة ، فعلى حد قوله ، يقع الى الشرق من الجزئين الأولين ، ثم يذكر بعض حواضر ذلك الجزء مثل نجران وبيشة ، بل ويذكر أن بهذا الجزء قرى كثيرة ، وبوادي شاسعة ، كما أن فى كل بادية حاكما مستبدا لا يخضع لأية سلطة مركزية . ثم يشير الى أن مساحة هذا الجزء من تهامة مائتا فرسخ طولا فى مائة وخمسين فرسخا عرضا ، ثم يقول « ويكثر السكان فى هذا الجزء الشرقى من تهامة » (٢٧) .

أما قول ناصر خسرو « اليمن وموقعها » فلعله يقصد حدودها من جهة الشمال على بعد مرحلة واحدة من مكة المكرمة صوب الجنوب . ومسمى اليمن مثار نقطة خلافية عند الجغرافيين والرحالة ، حيث يرى غير ناصر خسرو أن المقصود باليمن اليمن السعيد الذى يعود بأسمه الى كثرة انتاجه ، وهو يضم الحواضر الكبرى فى اليمن ، كصنعاء ، وصعدة ، وزبيدة وغيرها . هذا فى حين قال بعض الجغرافيين أن كل ما يقع جنوب الكعبة فهو يمن . ولكن الرحالة ناصر خسرو لم يقف عند حد القول بهذا القول فقط ، وانما أردف تسمية أخرى لليمن زيادة فى الايضاح ، فسمى كل ما يقع جنوبى مكة ببلاد حمير ، وسمى أرض الحجاز (مكة المكرمة والمدينة المنورة) بأرض العرب ، وهذا رأى لا نتفق معه فيه ، لأن حمير جزء من العرب ، ثم ان فى عهده بعض قبائل حمير كانت تقطن المناطق الواقعة ما بين صنعاء ونجران وربما الى بيشة . أما غالبية المنطقة

الممتدة من مكة المكرمة والطائف شمالا وحتى جازان ونجران وصعدة جنوبا فمعظم سكانها من القبائل العربية الازدية المختلفة فى البطون والعشائر ، الى جانب قبائل عربية مضرية نزحت من المراكز والمناطق الواقعة فى شمال الجزيرة العربية ووسطها والممتدة الى جنوبها .

أما أرض حمير ، فى رأى ناصر خسرو ، فتقسم الى ثلاثة أقسام ، وهذه الأقسام الثلاثة هى المسماه عنده بتهامة . وحقيقة القول ، ان اسم تهامة لا يشمل الا الجزء الأول ، أما القسمان الآخران فهما من بلاد السراة ، وبخاصة الثانى . أما الثالث فهو منطقة النجود والבוادى الواقعة فى الأجزاء الشرقية من بلاد السراة . وأشار خسرو الى كثرة القرى بالأجزاء الشرقية ، والى استبداد شيوخ القبائل فى ذلك الجزء وهو بذلك يؤيد ما أشار اليه ابن الجاور فى أوائل القرن السابع الهجرى .

ويشير بعض الجغرافيين الى الحياة الاجتماعية عند بعض السروية أو التهامية فيذكر ابن الجاور عن لباس النساء فى بلدتى السرين وحلى وما حولهما ، فيقول « ليس يلبس نسأؤهم الا الادم ، وذلك ان المرأة تأخذ طاقتين من قديم تخطط بعضه الى بعض ثم تلبسه » (٢٨) ويتكلم فى مكان آخر عن نساء الأجزاء التهامية الساحلية ، فيشير الى أن مصاغهم (النحاس) والرصاص ، وجواهرهم الودع (٢٩) ، بل ان المرأة تطيل شعرها ، وتدهنه بالدهن ، وتغسله بالسدر ، فاذا طال ضفرته الى ضفيرتين طويلتين (٣٠) . وكثرة الجلود ودباغتها فى كل من صعدة ونجران وجرش ، كانت تستخدم لباسا للجسد ، أو غطاء أثناء الليل ، بل وتصنع منها النعل وأدوات أخرى عديدة (٣١) . ومن الألبسة التى كان يلبسها أهل تهامة والسراة بعض الملاحف ، والأقنعة ، والجباب والبرد التى كانوا يجلبونها من الأسواق الكبيرة فى حواضر الحجاز واليمن (٣٢) ، كما يلبس الرجال والنساء ألبسة سميكة خاصة فى الحواضر الجبلية ذات المناخ البارد ، حيث يؤتى بهذه الألبسة من عدن أو من بعض المراكز الحضارية فى بلاد مصر أو الشام أو بلاد فارس والعراق .

ويذكر ابن المجاور بعض العادات التي كانت جارية بين أهل تهامة والسرّة ، حيث كان الرجال يخضّبون أيديهم وأرجلهم مثل النساء في مناسبات الأعياد والزواج وغيرها (٣٣) . كما ذكر عن السرويين بعض العادات في الجنائز فقال : « وأهل السرّة يرثون البنت عند الموت ... وللقوم عصبية عظيمة إذا مات أحد لا يحمل جنازته إلا الشبان ، ومع ذلك يقولون : سلم سلمك الله هذا ما وعد الله نعم القاضي ! وهم يتداولون بالنعش إلى المقبرة ، وهم الذين يحفرون القبر ... » (٣٤) ومن أطعمتهم اللحم ، والسمن ، والخبز ، ومن أكثر الأسماء شيوعاً بينهم سالم ، وغانم ، وقاسم ، ومفرج ، ومفرح ، وراشد وناجي ، وجابر ، ولاحق وصابر ، وسعيد ، ومساعد ، وظافر ، وفاتك ، ومالك ، وغيرها أسماء كثيرة (٣٥) . ومن حسن اهتمامهم بالضيف أنه إذا أطعم لصي أو قاتل ، زاد صاحب البيت ، فإنه لا يقتل إلا بعد خروجه من البيت ، ويكون ذلك بعد مدة من الزمن حتى ينتهي مفعول الزاد الذي أكله (٣٦) . ويشير ابن المجاور إلى بعض عادات السرويين في الكرم ، خاصة ممن تغلب عليهم البداوة ، حيث يؤخرون الغداء أو العشاء من أجل ضيف يقدم عليهم ، فإن حصل ذلك ، ينحر له على قدر مكانته ، فقد ينحر له جمل ، ويقدم له رأس الجمل ، وإن كان غابر سبيل يذبح له شاه ، ويكرس صاحب الدار الوغيف إلى ثلاث أو أربع كمرات يضعهن أمام الضيف تكريماً له ، ثم يقدم له اللحم المطبوخ بعد أن يثرد عليه الخبز ، ويهرق عليه السمن أو المرق ، فيشرب باديء الأمر المشروب ، ثم يوزع اللحم على الثريد ، وقد يطلق ، أحياناً ، على هذا الصنف من الطعام اسم العربية (٣٧) . ومن عادات السرويين أيضاً أن يكون في مخزنهم صنفان من الحبوب ، ذرة وقمح ، يقدم خبز القمح للضيف ، وخبز الذرة للأمرّة ، وهذا السلوك ينم عن إيثار الضيف وتقديره على الأهل . وما قصة الرجل الذي ينحر بعيّره لضيوفه ، أو يقدم لهم أفضل ما لديه وهو في حالة الفقر إلا دليل واضح على أعلى مراتب الإيثار ، وفي هذا يقول الشاعر : -

الجود طبعي ولكن ليس لي مال

وكيف يصنع من بالقوت يحتال

(مجلة المؤرخ العربي)

معدة
لبطون
ناطق

سام ،
ن اسم
ن بلاد
بوادي
كثرة
جزء
جری .

بعض
سرين
ك ان
(٢٨)
ي أن
ل ان
طال
ل من
أثناء
لبسة
جباب
حجاز
ة في
عدن
نارس

فهاك خطب الى أيام ميسرتى دينا على ولى فى الغيب آمال

وأشاره ابن الجاور وناصر خسرو الى أن بلاد تهامة والسراة كانت تحكم بشيوخ القبائل المستقلين بسلطتهم فى ديارهم ، قول نوافقهما عليه من حيث المبدأ ، ومن حيث المركز الاجتماعى الذى تحقق لشيوخ القبائل العربية على مر التاريخ قبل الاسلام وبعده (٣٨) ، ولكن فيما عرف فى ظل الدولة الاسلامية ، وبخاصة بعد انتقال الخلافة من الحجاز الى بلاد الشام ثم العراق فى العهدين الأموى ثم العباسى ، ان شبه الجزيرة العربية تحول الى عدة ولايات تابعة لمركز الخلافة . ومن أكبر ولايات شبه الجزيرة منطقتى الحجاز واليمن ، وبخاصة الأجزاء التى تشمل الحواضر الحجازية واليمينية الكبرى ، وظلت المنطقة الواقعة بين المنطقتين السابقتين ، والتى هى محور دراستنا فى هذا البحث ، تابعة فى أغلب الأحيان لوالى الحجاز ، الذى اتخذ مكة المكرمة أو المدينة المنورة مقرا له (٣٩) . ومن الواضح فى بعض كتب التراث الاسلامى ، وبخاصة كتب الجغرافيا والرحلات ، ان منطقة تهامة والسراة كانت مقسمة الى مناطق أو مراكز حضارية ، أطلق على كل قسم اما مخلاف ، أو عمل وجمعه أعمال أو كورة وجمعها كور (٤٠) . فاليعقوبى تحت عنوان سماه (مكة وأعمالها) قام بتعديد أجزاء عديدة تابعة من الناحية الادارية الى والى مكة المكرمة ، ومن تلك الأعمال الواقعة الى الجنوب من مكة والطائف ذكر ما يلى فى الأجزاء السروية : « تبالة وأهلها خثعم ، الفجران لبنى الحارث بن كعب كانت منازلهم فى الجاهلية ، والسراة وأهلها من الازد (٤١) » . وفى الأجزاء التهامية أشار الى عشم ، وذكر أنها معدن الذهب ، وبيش ، والسرير ، والحسبة ، وعثر ، وكل هذه المناطق تقع على ساحل البحر الأحمر ما بين مكة المكرمة شمالا وجازان جنوبا (٤٢) . وفى موضع آخر ذكر أن لليمن أربعة وثمانين مخلافا ، وأغلبها حول حواضر اليمن الكبرى ، ولكنه أورد بعض الأجزاء التى تقع ضمن نطاق دراستنا ، كجرش فى بلاد السراة ، وبيش ، وقنونا ، وبيبه ، وضنكان ، والعرش من جازان فى الأجزاء التهامية (٤٣) . ويورد ابن خرداذبة بعض الايضاحات عن مخاليف مكة المكرمة ، فيذكر أن

الطائف ، وعكاظ ، وبيشة ، وتبالة ، وجرش ، والسراة ، ونجران قى
الأجزاء السروية ، وضنكان ، وعشم ، وبيش فى الأجزاء التهامية ،
وجميعها تابعة لامارة مكة المكرمة أو الحجاز بشكل عام (٤٤) . ويخالف
المقدسى اليعقوبى وابن خرداذبة فى بعض ما ذكر حيث يورد أن نجران ،
وجرش ، وتربة ، والسراة فى الأجزاء الجبلية ، وبيش ، وعثر ،
وحلى ، والسرين من مخاليف اليمن (٤٥) . ولكن الادريسي يخالف
المقدسى ويتفق مع اليعقوبى وابن خرداذبة فيقول عن بعض مخاليف
مكة ، وبخاصة الواقعة بين الطائف ونجران « ولما كان مخاليف وهى
الحصون فمنها بنجد الطائف ونجران ٠٠٠ وتربة وبيشة وجرش والسراة »
ثم يضيف ضنكان ، والسرين ، وعشم ، وبيش فى الأجزاء التهامية (٤٦) .
وفى ضوء هذه الأقوال نستطيع القول أن بلاد تهامة والسراة كانت فى الغالب
تابعة لولاية مكة المكرمة ، بل لقد أثبتت بعض الروايات التاريخية ، أن
والى الحجاز كان فى بعض الأحيان يمنح تعيينا من الخليفة يتضمن
ولايته على الحجاز واليمن معا ، وأحيانا أخرى تضاف له ولاية بلاد
اليمامة الى جانب المنطقتين السابقتين (٤٧) . أما المنطقة التى تقع بين
الحجاز واليمن ، والتى أطلقنا عليها اسم (تهامة والسراة) فبدون
شك كانت تتبع اداريا والى مكة المكرمة من حيث دفع الزكاة الى بيت
مال المسلمين ، وبالتالي الولاء للخلافة الاسلامية . لكن الذى لا شك فيه
هو ما أشار اليه ابن الجاور وناصر خسرو من حيث اضطراب الأمن
وانتشار الفوضى بين أهل هذه البلاد واستفحال القلاقل بين سكانها ، بل
ان شيوخ القبائل كانوا أقوى عنصر فى المجتمع فكانوا أصحاب الحق
والعقد ، واليهم تؤول جميع الأمور الخاصة بأبناء مجتمعاتهم ، فضلا
عن العلاقات الخارجية بينهم وبين غيرهم من خارج حدود منطقتهم .

ولم يكن سكان أهل تهامة والسراة منغلقيين على أنفسهم ، بل كان
بعضهم يسافر الى حواضر شبه الجزيرة العربية ، وبخاصة مدن الحجاز
الكبرى ، فيعملون بالتجارة ، ويؤدون الحج والعمرة ، بل لقد امتلك
بعضهم الدور والعقار (٤٨) . وقد ذكر لنا الجغرافيون والرحالة
المسلمون الأوائل بعض المعلومات القيمة التى تؤكد ذهاب اعداد كبيرة

كانت
فقهما
شيوخ
فيما
حجاز
سبه
أكبر
تشمل
لقتين
أغلب
سورة
خاصة
الى
عمل
سماء
ة الى
مكة
عم
سراة
وذكر
هذه
مازان
فا ،
تقع
نا ،
يورد
ر أن

من السرويين الى مكة المكرمة من أجل أداء الشعائر الدينية ، والمتاجرة فى بعض سلعهم التى يجلبونها معهم من بلادهم الى أسواق مكة أثناء مواسم العمرة فى رجب ورمضان وفى موسم الحج . وأول من شاهدتهم ودون لنا ملاحظاته عنهم فى أسواق مكة المكرمة ، الرحالة الفاسى ناصر خسرو خلال القرن الخامس الهجرى ، حيث أشار الى كثرتهم فى مكة أول رجب من كل سنة ، وفى عيد الفطر ، وفى موسم الحج (٤٩) . وفى القرن السادس الهجرى وبداية القرن السابع زار مكة المكرمة رحالة أندلسى ، هو محمد بن جبير ، فوصف أحوال السرويين الذين يأتون من بلاد السراة الى مكة المكرمة ومعهم قوافل الأرزاق ، والفواكه والتمر ، فأبدى سروره وأعجابه بذلك ، ووصف أولئك القوم البسطاء ، حسب ما شاهدتهم ، بالشجاعة ، والنجدة ، والمرؤة (٥٠) . ويؤكد الرحالة ابن الجاور ما أورده كل من ناصر خسرو وابن جبير ، فيشير الى أن السرويين اذا دخلوا مكة المكرمة ملئوها بالحنطة ، والشعير ، والسويق ، والعسل ، والذرة ، والدخن ، والزبيب ، واللوز ، وما يشابه ذلك . ولذلك يقول أهل مكة « حاج العراق أبونا تكسب منه الذهب ، والسرو أمنا تكسب منه القوت » (٥١) . وعندما زار ابن بطوطة مكة المكرمة فى القرن الثامن للهجرة ، شاهد السرويين فى أسواقها يبيعون ويشتررون ، وشاهدتهم يطوفون حول الكعبة يؤدون الحج أو العمرة ، وقد أورد فى رحلته نبذا مما شاهده فى حياتهم الاجتماعية والاقتصادية والدينية ، فقال : - « ... ويجلبون الى مكة الحبوب والسمن والعسل والزبيب واللوز فترخص الأسعار بمكة ، ويرغد عيش أهلها وتعمهم المرافق . ولولا أهل هذه البلاد - ويقصد أهل السراة - لكان أهل مكة فى شظف من العيش . ويذكر أنهم متى أقاموا ببلادهم ، ولم يأتوا بهذه الميرة أجديت بلادهم ، ووقع الموت فى مواشيهم ، ومتى أوصلوا الميرة أخصبت بلادهم ، وظهرت فيهم البركة ونمت أموالهم . فهم اذا حان وقت ميرتهم وأدركهم كسل عنها ، اجتمعت نساؤهم فأخرجتهم ، وهذا من لطائف صنع الله تعالى وعنايته ببلاده الأمين . وبلاد السرو مخصبة كثيرة الأعشاب وافرة الغلات ، وأهلها فصحاء الألسن لهم صدق نية وحسن اعتقاد . وهم اذا طافوا بالكعبة يتطارحون عليها لا ئذين بجوارها ، متعلقين بأستارها ، داعين بأدعية تتصدع

لقوتها القلوب ، وتدمع العيون الجامدة فتري الناس حولها باسطي
أيديهم ، مؤمنين على أدعيتهم ، ولا يمكن غيرهم الطواف معهم ،
ولا استلام الحجر لتزاحمهم على ذلك . وهم شجعان أنجاد ولباسهم
الجلود ، وإذا وردوا مكة هابت أعراب الطرق مقدمهم ، وتجنبوا
اعتراضهم ، ومن صحبهم من الزوار حمد صحبتهم» (٥٢) وليس ابن
بطوطة هو الذى أنفرد بهذه الصفحات بل ذكرها بعض المؤرخين
والجغرافيين والرحالة ، فأثنوا على خصوبة تربة السراة وكثرة خيراتها ،
وعلى ما تحلى به أهلها من السلوك الجيد والقيم الطيبة (٥٣) . كما أشار
الى فصاحة ألسنتهم وخلوها من اللحن كل من الهمذانى وابن جبير
والقزوينى (٥٤) .

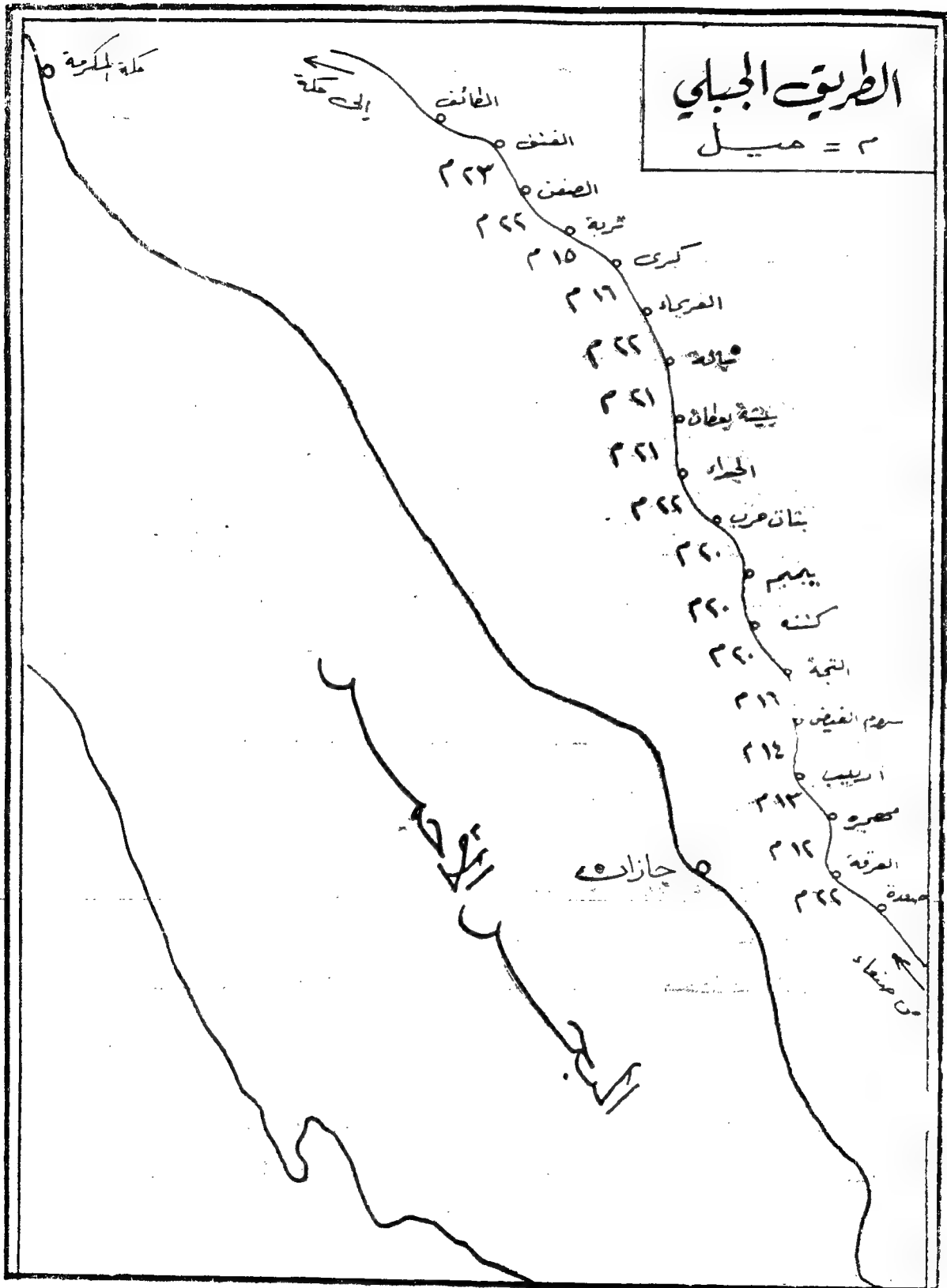
وكانت الصلات فيما بين أهل تهامة والسراة وجيرانهم مستمرة
ودائمة لوجود الطرق التى تربط حواضر اليمن (صنعاء ، وصعدة ،
وزبيدة ، وغيرها) بحواضر الحجاز (مكة المكرمة ، والطائف ،
وجدة ، والمدينة المنورة) . ومن الطبيعى أن تلك الطرق الواصلة بين
اليمن والحجاز لابد وأن تمر بمحطات ومراكز حضارية فى منطقة تهامة
والسراة المعنية فى هذه الدراسة . وبعد البحث فى كتب الرحالة
والجغرافيين الأوائل ، وجدنا غالبيتهم تشير الى طريقين أساسيين ،
الأول الطريق التى تخرج من مكة المكرمة حتى الطائف ، ثم تأتى عبر
الأجزاء الشرقية لبلاد السراة حتى تصل الى صعدة ثم صنعاء ، والثانى
يخرج من مكة المكرمة عبر الساحل حتى تصل الى بلد العرش فى جازان ،
ثم تواصل السير الى بلدة زيد فى اليمن . ومن الجغرافيين الذين أشاروا
الى هذين الطريقين ، وبخاصة الطريق الجبلية السروية ، ابن
خرداذبة (٥٥) ، وقدامة (٥٦) ، والحربى (٥٧) ، واليعقوبى (٥٨) ،
والهمذانى (٥٩) ، والمقدسى (٦٠) ، والادريسى (٦١) ، وجميع كتبهم
أجمعت على أسماء أغلب المحطات التجارية الهامة الواقعة بين صعدة
والطائف فى الأجزاء السروية ، ونوعا ما على المحطات الواقعة على
الطريق الساحلى بين مكة المكرمة وجازان (٦٢) ، ولهذا أثرنا الاعتماد
على كتاب الهمذانى (صفة جزيرة العرب) لنذكر المحطات على هذين
الطريقين مع ارفاق رسم بيانى بهما . والسبب الذى جعلنا نعتد على

اجرة
أثناء
ندهم
باسى
أفى
(٤)
حالة
من ،
واكه
اء ،
يؤكد
بر ،
لة ،
لوز ،
ب
ابن
فى
لحج
اعية
وب
يش
ة -
م ،
متى
م .
وهم
ن .
حاء
مون
دع

الهمدانى دون غيره من المصادر التى ذكرنا والتى أشارت الى هذين الطريقين ، هو معرفته القوية ببلاد شبه الجزيرة العربية ، فلقد ولد وعاش أغلب حياته فى بلاد اليمن ، ثم أنه سافر عدة مرات من حواضر اليمن الى حواضر الحجاز ، بل وكانت مهفته فى شيابه جمالا يذهب مع التجار الذين كانوا يذهبون ويأتون ما بين الحجاز واليمن ، ولهذا لابد أن يكون للجغرافيين والرحالة معرفة بأحوال ومحطات وأطوال الطرق الواصلة بين مدن الحجاز ومدن اليمن والمارة ببلاد تهامة والسراة ، الى جانب أنه الجغرافى الوحيد الذى رسم لنا طول الطريق الجبلى الذى يأتى من صنعاء الى الطائف ثم مكة المكرمة ، فذكر المسافات بين كل مرحلة وأخرى بالأميال ، ومثل هذه الأسباب تجعلنا فى عداد المتصفين اذا أعتمدنا على كتابة صفة جزيرة العرب فى ذكر محطات هذين الطريقين الواصلين بين الحجاز واليمن ، مع العلم أننا لن ننسى ما ذكره الجغرافيون الآخرون عن رخاء بعض المحطات التى كانت على طول الطريقين .

ويشير الهمدانى الى خروج الطريق الجبلى من صنعاء الى صعدة مع ذكر الأطوال بين هاتين المدينتين ، ثم يورد قوله : - « من صعدة الى العرفة اثنان وعشرون ميلا ، ومن العرفة الى المهجرة اثنان عشر ميلا ، ومن المهجرة الى أرينب ثلاثة عشر ميلا ، ومن أرينب الى سروم الفيض أربعة عشر ميلا ، ومن سروم الفيض الى الثجة ستة عشر ميلا ، ومن الثجة الى كتنة عشرون ميلا ، ومن كتنة الى ييمبم عشرون ميلا ، من ييمبم الى بنات حرب عشرون ميلا ، ومن بنات حرب الى الجسداء اثنان وعشرون ميلا ، ومن الجسداء الى بيشة احدى وعشرون ، ومن بيشة الى تبالة احدى وعشرون ميلا ، ومن تبالة الى القريحاء اثنان وعشرون ميلا ، ومن القريحاء الى كرى ستة عشر ميلا ، ومن كرى الى تربة الى الصفن اثنان وعشرون ميلا ، ومن الصفن الى الفتق ثلاثة وعشرون ميلا » (٦٣) . (انظر الخريطة رقم (١)) .

أما طريق الساحل فلم يشر الهمدانى فيه الى المسافات بين المحطات ، وانما ذكر الطريق القادم من مدن اليمن الكبرى حتى بلد



حكم فى جازان ، ثم الى الهجر ، فعثر ، فبيض ، فزنيف ، فضنكان ،
فالمعقد ، فحلى ، فالجو ، فالجويتية ، فنونا ، ثم دوقه ، فالمسرین ،
فالمعجر ، فالخيال ، فيلملم ، فملكان ، فمكة المكرمة (٦٤) (انظر
الخريطة رقم (٢)) .

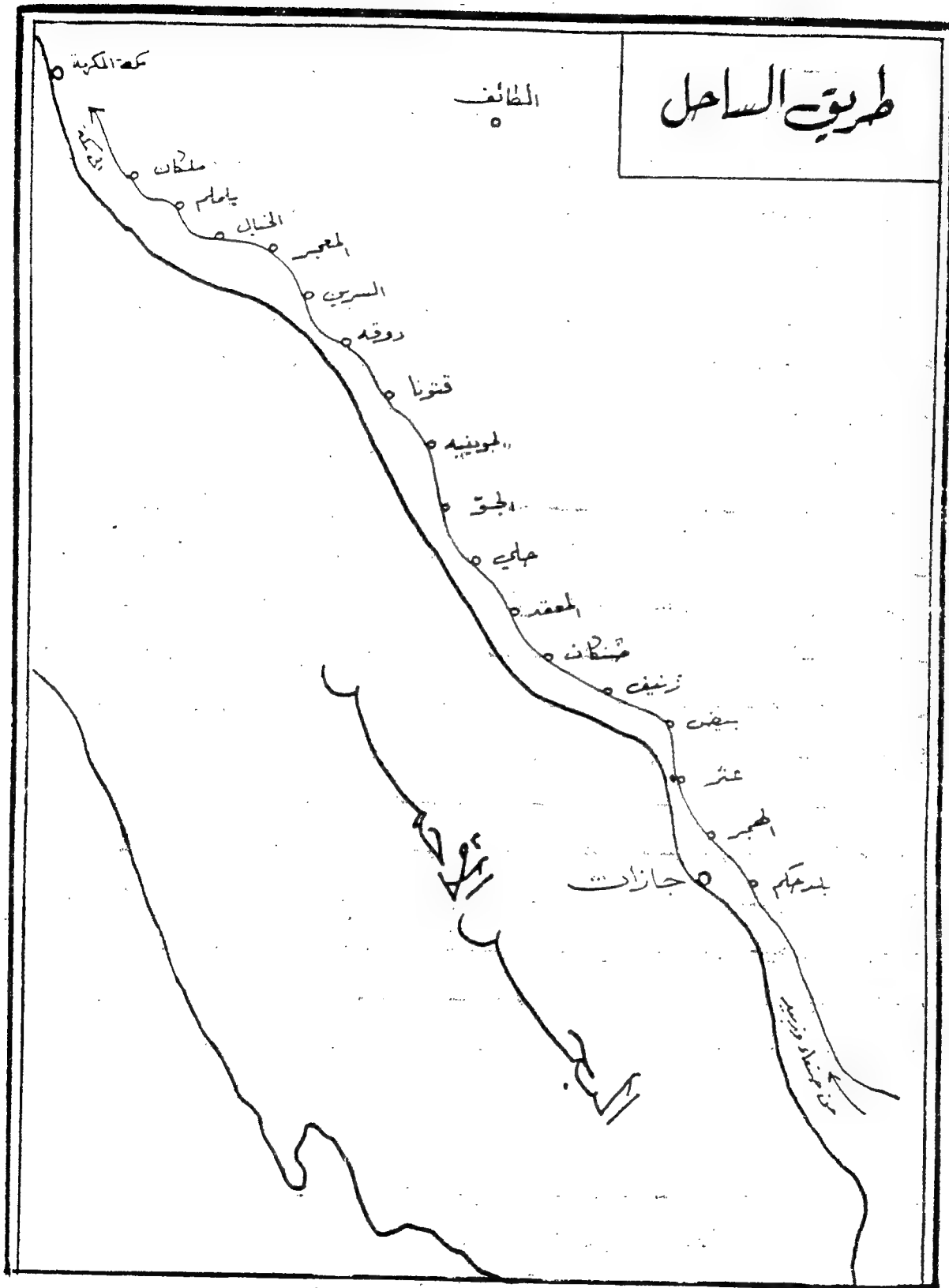
ويتحدث ابن خرداذبة ، وقدامة ، والادريسي عن الطريق السروية
التي تربط بين الطائف شمالا وحواضر اليمن الكبرى جنوبا ، والتي
كانت أنشط الطرق الواصلة بين الحجاز واليمن ، فكانت تستخدمها
الجيوش أثناء ذهابها وإيابها ما بين البلاد الحجازية واليمانية ، بل وكان
يستخدمها التجار وموظفو الدولة ، كالأمرأ والقضاة ، والعلماء وجباة
الزكاة وغيرهم . ولهذا فقد أشاروا الى رخاء بعض المحطات التجارية
التي كانت على طول الطريق ، فأبن خرداذبة أشار الى أن الفتق وتربة
قريتان كبيرتان ، أما تبالة وبيشة فذكر أنهما مدينتان كبيرتان بهما من
العيون والنخيل الشيء الكثير وأورد بيت شعر عن بيشة لحميد بن ثور
الهلالى حيث يقول : -

إذا شئت عنتنى بأجزاء بيشة

الى النخل من تثليث أو ببببما

وواصل حديثه عن الجساء وبنات حرب ، وسروم راح التي أطلق
عليها الهمدانى سروم الفيض ، والتي تقع الى الشرق بثمانية أميال من
جرش ، فذكر تعدد الآبار بها ، وأشار الى أنها محطات تحتوى على
قرى وسكان من عشائر مختلفة (٦٥) .

ويورد لنا قدامة معلومات أكثر دقة من ابن خرداذبة حيث عدد
الأماكن التي ذكرها الهمدانى ، وأعطى بعض الأوصاف الحضارية لبعض
تلك المحطات فقال « . . ومن الفتق الى تربة ، وهى قرية عظيمة بها
عيون جارية وزروع ، وهى قرية خالصة مولاة المهدي ، ومن تربة الى
صفر ، وهى منزل فيه داران لصاحب البريد فى الصحراء ، وفيه ماء
عذب من بئرين ، ومن صفر الى كرى ، منزل فيه نخل وعين عذبة .



شكل (٢)

وليس الا منزل لصاحب البريد ، ومنزل القوافل ، وهى فى بطن واد كثير النخل ، ومن كرى الى رنية ، منزل فى صحراء ، وضل وعين عظيمة عذبة ، والعمران حولها ، ومن رنية الى تبالة قرية عظيمة كثيرة الأهل مضرية لقيس ، وفيها منبر وعيون وآبار ، ومن تبالة الى بيشة ، قرية عظيمة كثيرة الأهل فى بطن الوادى ، ظاهرة الماء من عيون وآبار ، مضرية قيسية ، ومن بيشة الى الجسداء ، قرية عظيمة ، منزل اعراب من قيس ، ومن جسداء الى بنات حرب ، قرية عظيمة فيها منازل كثيرة وزروع ، ومن بنات حرب الى يميم جرش نحو أربعة عشر ميلا ، ومنه الى كثة قرية عظيمة ، ومنازل وقصور وآبار فى صحراء بينها وبين جرش ثمانية أميال ، ومن كثة الى الثجة موضع البريد ، وفيه بئر ماء ينزله القوافل ، وهو فى بلاد زبيد ، وحوله اعرابهم ، ومن الثجة الى سروم راح ، وهى قرية عظيمة فى صحراء فيها عيون كثيرة الكروم ، فيها فخذ من همدان يقال اهم جنب ، ومن سروم راح الى المهجرة ، وهى قرية عظيمة جبلية كثيرة العيون والأهل ، وفيما بينها وبين سروم راح شجرة تسمى طلحة الملك (٦٦) وهذه الشجرة حد ما بين اليمن والحجاز ، وهى شجرة تشبه شجرة الغرب . . . ومن المهجرة الى العرقه وهى أول عمل اليمن ، وهى الى عمل صعدة (٦٧) ويتعرض الادريسي لنفس الطريق والمحطات التى ذكرها الهمداني ، وابن خرداذبة ، وقدامة ، ويتفق مع قدامة فيما ذكر عن شجرة (طلحة الملك) التى قيل أنها كانت الحد بين الحجاز واليمن ، ويضيف معلومات أكثر عن مدينتى تبالة وبيشة ، فيذكر تبالة وما بها من عيون كثيرة ، ومزارع ، ثم يقول : - « وهى صغيرة فى منخفض اكمة » أما بيشة فهى أيضا مدينة صغيرة متحضرة جيدة المساكن ، حسنة البقعة ، وبها ماء ونخل كثير (٦٨) .

ويلاحظ على ما ذكر الادريسي وقدامة وغيرهما رخاء بعض المدن التى تقع على قارعة الطريق الواصل بين اليمن والحجاز ، عبر الأجزاء السروية (٦٩) ، مع العلم أن قدامة أوضح لنا نقطة مهمة ، وهى وجود محطات للبريد ، ودور خاصة بالأعمال البريدية . ومما يؤكد قوله أن خلفاء المسلمين الأوائل ، وخاصة الأول من بنى العباس ، نشطوا البريد

الذى كان يربط أجزاء شبه الجزيرة العربية بعاصمتهم فى مدينة بغداد ، فكانوا يأمرون بإصلاح الطرق التى يرتادها بريد الخلافة ، ويزودون عمال البريد بكل ما يحتاجون اليه من زاد ورواحل ، ووسائل بريدية أخرى (٧٠) ، ولهذا فالطرق الجبلية الواصلة بين اليمن والحجاز كانت من أهم الطرق ، بل وفى بعض الأحيان كان يطلق عليها طريق السلطان ، ولذا فلابد وأنها حظيت ببعض الإصلاحات لأجل استخدامها من قبل جيوش وموظفى الخلافة العباسية فى بغداد (٧١) .

ويلاحظ اختلاف بسيط بين ما ذكره قدامة والهمدانى حيث عدد الأخير المحطات الواقعة فى الأرض السروية القريبة من الطائف ، ومنها الى جهة الجنوب ، فذكر الفتق ثم الصفن ، ثم تربة ثم القريحا ، ثم تبالة الى أن ذكر كتنة ، فالثجة ، ثم سروم الفيض ، واستمر تعداده على باقى المحطات حتى وصل صعدة (انظر الخريطة رقم (١)) . اما قدامة فلم يسلك نفس الترتيب فى ذكر المحطات وانما ذكر مدينة تربة بعد الفتق ، ثم قال : - « ومن تربة الى صفر » فكلمة صفر هنا ربما أنها صحت من اسم الصفن الذى ذكره الهمدانى ، والتصحيح كثيرا ما يرد فى كتب التراث اما التقديم والتأخير فى ذكر المحطات فنميل الى قول الهمدانى لنفس الأسباب التى ذكرناها سابقا ، والتى جعلتنا نعتمد على كتابه (صفة جزيرة العرب) . وذكر محطة كتنة عند قدامة وكتنة عند الهمدانى ربما نتج عن قلب التاء ثاء ، وهذا كثيرا ما يحدث عند الكتاب أو النسخ ، وسروم الفيض عند الهمدانى أو سروم راح عند قدامة انما تعنى منطقة واحدة تقع الى الجنوب من محطة الثجة التى أشار اليها كل من الهمدانى وقدامة . أما الإشارة الى شجرة طلحة الملك بأنها الحد بين اعمال الحجاز واليمن فهذا مما يؤكد أن نفوذ الوالى فى الحجاز كان يمتد جنوبا الى المناطق القريبة من شمالى مدينتى بجران وصعدة .

وبعد الإشارة الى ما سبق ذكره نجد أن الجغرافيين والرحالة المسلمين الأوائل حفظوا لنا بعض المعلومات الحضارية القيمة عن بلاد تهامة والسرارة ، ولكن الذى استطعنا الحصول عليه فى هذه الدراسة لا يكاد يفى بالغرض ، فلا زالت أوضاع هذه المناطق المعنية مجهولة ،

مع العلم أنها من أغنى أجزاء شبه الجزيرة العربية بكثافة أشجارها ، وتنوع خيراتها ، وكثرة سكانها ، وصفاء هوائها ، وكثرة أمطارها ، الى غير ذلك من الصفات الملائمة لخلق ظروف مناخية واجتماعية مناسبة للعيش فيها ، وقد يقيض الله من أبناء هذه البلاد ، من يستكمل أو يعثر على مالم نستطع استكمالاه أو العثور عليه ، أو من يصوب ماقد أخطأنا فيه . ورغم أن جهدنا جهد المقل ، الا أننا نرى فيه بداية عمل لبحوث أخرى فى المستقبل ، وكل ما نرجوه التوفيق والسداد ، والله من وراء القصد .

« الضميمة الأولى »

أسماء محطات الطريق الساحلى التى وردت فى أغلب المصادر التى استقيناه منها بحثنا .

الهمدانى	اليعقوبى	الادريسى	ابن قدامة	ابن خرداذبة
ضنكان	ضنكان	ضنكان	ضنكان	ضنكان
حلى	—	حلى	حلى	حلى
قنونا	قنونا	قنونا	—	قنونا
دوقه	—	دوقه	—	دوقه
—	عليب	عليب	عليب	عليب
—	الليث	—	الليث	الليث
يلملم	يلملم	يلملم	يلملم	يلملم
ملكان	ملكان	ملكان	ملكان	ملكان
مكة	مكة	مكة	مكة	مكة

« الضميمة الثانية »

أسماء محطات الطريق الساحلى التى وردت فى بعض المصادر
دون المصادر الأخرى

ابن خرداداذبة	ابن قدامة	الأدريسى	اليقوتى	الهمدانى
خولان ذى سحيم	خولان ذى سحيم	خولان ذى سحيم	—	—
—	—	—	بيش	—
—	—	—	ريش	—
—	بيشه	بيشه يقظان	—	—
—	—	—	—	—
بيشه بعطان	—	—	—	—
بيشه	بيشه	—	بيشه	—
بيشه ابن جاوان	ابن جاوان	الحسبة وتسهى	—	—
الحسبة (الأحسبة)	—	اليوم بالأحسبة	—	—
—	—	بيشه حازان	—	—

« الحواشي والتعليقات »

(١) لمزيد من التفصيل عن بعض الجغرافيين والرحالة المسلمين الأوائل ، انظر .
أحمد رمضان أحمد . **الرحلة والرحالة المسلمون** (جدة : دار البيان العربى للطباعة
والنشر ، د . ت) ؛ عبد المجيد الذويب « الجغرافيون العرب ودورهم فى التعريف
بالجزيرة العربية » مصادر تاريخ الجزيرة العربية ، الجزء الثانى ، الأبحاث المقدمة
للندوة العالمية الأولى للدراسات تاريخ الجزيرة العربية فى ٥ - ١٠ جمادى الأولى
١٣٩٧ هـ الموافق ٢٣ - ٢٨ ابريل ١٩٧٧ م ، قسم التاريخ كلية الآداب ، جامعة
الرياض ، ص ٢٨٥ - ٢٩٨ .

(٢) ومن المدن التى أشار إليها ابن بطوطة على الساحل الشرقى لبحر الأحمر،
مدينة حلى ، حيث ذكر من كان يسكنها من القبائل ، بل وأشار الى بعض العلماء
الذين كانوا يسكنونها أثناء مروره بها ، كما تعرض لبعض الجوانب الاجتماعية فى
تلك المدينة ، كذكر بعض الأطعمة التى كان يقات بها السكان ، وبعض الألبسة التى
كانوا يلبسون . انظر أبو عبد الله محمد ابن بطوطة . **رحلة ابن بطوطة** ، المسماة
تحفة النظار فى غرائب الامصار وعجائب الأسفار ، تحقيق على المنتصر الكتانى ،
(بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م) ج ١ ، ص ٢٧١ - ٢٧٢ ، وللمزيد
من التفصيل عن مدينة حلى ، انظر ، أحمد بن عمر الزيلعى . « المواقع الإسلامية
المنشرة فى وادى حلى » **حواشى كلية الآداب ، جامعة الكويت ، الحولية السابعة ،**
الرسالة (٣٩) (١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م) ص ١١ - ١٩ .

(٣) ولأهمية مادون الهمدانى عن بلاد السراة ، وبخاصة ما ذكر فى كتابه
(صفة جزيرة العرب) فقد أفردنا لذلك بحثا مستقلا حول ما رأى وشاهد ، أثناء
ذهابه وإيابه فى تلك البلاد ، وسينشر هذا البحث فى أحد أعداد مجلة الدارة القادمة
(ان شاء الله) .

(٤) للمزيد من التوضيحات ، انظر . عبد الله بن عبد العزيز البكرى . **معجم**
ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ، تحقيق مصطفى السقا ، (بيروت : عالم
الكتب ، ١٣٦٤ هـ / ٣٤٥) مج ١ ، ج ١ ، ص ٦ وما بعدها ؛ شهاب الدين أبو عبد الله
ياقوت الحموى . **معجم البلدان** (بيروت : دار بيروت للطباعة والنشر ، ١٤٠٤ هـ /
١٩٨٤ م) ج ٢ ، ص ٦٣ - ٦٤ ، ٢١٨ - ٢٢٠ ؛ صالح أحمد العلى « تحديد الحجاز
عند المتقدمين » **مجلة العرب (١٣٨٨ هـ / ١٩٧٨ م) ج ١ ، ص ١ - ٩ ؛ عبد الله**
الوهيبي . « الحجاز كما حدده الجغرافيون العرب ، مجلة كلية الآداب ، جامعة
الرياض (١٣٩٠ هـ / ١٩٧٠ م) ج ١ ، ص ٥٣ - ٧٠ .

(٥) ياقوت ، المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٢١٨ - ٢٢٠ ، ج ٣ ، ص ٢١٧ - ٢١٨ ، الوهيبى ، المصدر نفسه .

(٦) انظر مقالتي العلى والوهيبى السابقتى الذكر فى ملاحظة (٤) .

(٧) أبو بكر أحمد بن محمد بن الفقيه . كتاب البلدان ، تحقيق ، أم دى غوى (ليدن : مطبعة بريل ، ١٣٠٢هـ / ١٨٨٤) ص ٣١ - ٣٢ .

(٨) ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٢٠٤ - ٢٠٥ .

(٩) المصدر نفسه .

(١٠) زكريا محمد محمود القزوينى . آثار البلاد وأخبار العباد (بيروت : دار بيروت ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م) ص ٨٩ ، ياقوت ، معجم ، ج ٣ ، ص ٢٠٥ .

(١١) شمس الدين أبو عبد الله المقدسى . أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم ، تحقيق ، أم دى غوى (ليدن : مطبعة بريل ، ١٨٧٧م) ص ١٠٤ .

(١٢) جمال الدين يوسف بن المجاور . صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز ، المسمى تاريخ المستبصر ، تحقيق ، أو . لوفجرين (ليدن ، مطبعة بريل ، ١٩٥١ - ١٩٥٤م) ج ١ ، ص ٢٦ .

(١٣) المصدر نفسه .

(١٤) يبدو أن وجود المخازن المسماة فى بعض المناطق الإسلامية (بالأهراء) أى صوامع الغلال ، هو المعمار الوحيد المنتشر فى البقاع الإسلامية لهذا الغرض ، لما إمتاز به من حسن الموقع حيث يكون على مرتفع ، إلى جانب حسن المناخ ، والبعد عن الأماكن الرديئة التهوية ، ولهذا كانت الحبوب تدوم فيها مدة طويلة دون أن يصيبها العطب والفساد . والمتجول فى وقتنا الحالى ، بالمنطقة الواقعة بين نجران والطائف يلاحظ جميع القرى وبها حصون مختلفة الاحجام ، وأغلبها كانت تستخدم لخرن الحبوب المتنوعة لأفراد القرية ، مع العلم أن هذه الحصون فى يومنا هذا ، أصابها الخراب والدمار ، لأنها لم تعد تستخدم ، ولم تجد أيضا من يوليها الاهتمام ويحافظ عليها من الانهيار .

(١٥) لقد عمل أهل السراة بما يمليه العرف القبلى ، فكان شيخ القبيلة من كبار السن الذين يتمتعون بتجربة واسعة فى الحياة ، وما المثل العربى القائل عن مثل هذه الشخصية « حلب الدهر أشطوره » الا دليل واضح على حسن الاختيار .

(١٦) ابن المجاور ، تاريخ المستبصر ، ج ١ ، ص ٣٧ .

(١٧) ميناء السرين من الموانئ الشيطنة على الساحل الشرقى للبحر الأحمر ،

نظر .
طباعة
تعريف
المقدمة
الأولى
جامعة

أحمر ،
علماء
ية فى
التي
لسماء
انى ،
لمزيد
لامية
بعة ،

كتابه
أثناء
قادمة

معجم
عالم
الله
١٤١٠هـ /
عجاز
له
ة

ويقع الى الجنوب من مكة المكرمة بحوالى خمس مراحل . وللمزيد من التفصيل عن هذا الميناء . انظر أحمد عمر الزيلعى . مكة وعلاقتها الخارجية (٣٠٦ - ٤٨٧ هـ) .
(الرياض : عمادة شؤون المكتبات - جامعة الرياض ، ١٩٨١ م) ، ص ١٨٤ - ١٨٦ .

(١٨) ابن الجاور ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٥٣ .

(١٩) وللمزيد من التوضيح عن مدينة حلى ، انظر . الزيلعى . المواقع الاسلامية المندثرة فى وادى حلى « ص ١١ وما بعدها .

(٢٠) لمزيد من التفصيل عن السلطان طفتكين بن أيوب ، وبخاصة عندما عين سلطانا على بلاد اليمن فى عهد أخيه صلاح الدين الأيوبي عام (٥٧٩ هـ) ، انظر . القاضي عبد الله بن عبد الكريم الجرافى . المقتطف من تاريخ اليمن (بيروت : منشورات العصر الحديث ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧ م) ص ١٢٩ - ١٣١ : محمود كامل . اليمن شماله وجنوبه ، تاريخه وعلاقاته الدولية (بيروت : دار بيروت للطباعة والنشر ، ١٩٦٨ م) ص ١٨٠ - ١٨٤ .

(٢١) ابن الجاور ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٥٣ - ٥٤ .

(٢٢) المقدسى ، أحسن التقاسيم ، ص ٨٦ .

(٢٣) المصدر نفسه .

(٢٤) المصدر نفسه .

(٢٥) المصدر نفسه .

(٢٦) انظر . أبو معين الدين ناصر خسرو . سفرنامه (رحلة ناصر خاسرو) ترجمه من الفارسية وحققه ، أحمد خالد البدلى (الرياض : عمادة شؤون المكتبات - جامعة الملك سعود ، ١٩٨٣ م) ص ١٤١ - ١٤٢ .

(٢٧) المصدر نفسه .

(٢٨) ابن الجاور ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٥٢ .

(٢٩) المصدر نفسه ، ص ٥٤ .

(٣٠) المصدر نفسه ، ص ٥٦ .

(٣١) انظر ، المقدسى ، أحسن التقاسيم ، ص ٨٧ : الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني . صفة جزيرة العرب ، تحقيق ، محمد بن على الأكرع الحوالى (الرياض : دار اليمامة لبحث والترجمة والنشر ، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧ م) ص ٢٤٨ ، ٢٥٢ ، ٢٥٥ - ٢٥٦ ، ٢٥٧ - ٢٥٨ ، ٢٦٠ .

(٣٢) أبو الوليد محمد بن عبد الله الأزرقى . أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار ، تحقيق رشدي ملحق ، ط ٤ ، (مكة المكرمة : مطابع دار الثقافة ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م) ج ٢ ، ص ٢٣٩ : ناصر خسرو ، الرحلة ، ص ١٣٦ : ابن الجاور ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٥ - ٦ .

(٣٣) ابن الجاور ، ج ١ ، ص ٧ ، ومثل هذه العادة لازالت مألوفة بين بعض السكان في الأجزاء التهامية والسروية ، وبخاصة عند كبار السن من الرجال .

(٣٤) ابن الجاور ، ج ١ ، ص ٢٥ . وهذه العادة أيضا لازالت تمارس عند بعض الأسر والعشائر والأفخاذ الساكنة في البلاد السروية والتهامية على وجه العموم .

(٣٥) ابن الجاور ، ج ١ ، ص ٦ . ومن يتجول في بلاد السراة أو تهامة في وقتنا الحالى يجد أسماء لكثير من الأسر ، وبخاصة أجدادهم الأوائل ، وسيجدها على منوال ما ذكر ابن الجاور ، بل ويجد أسماء مستمدة من أسماء الطبيعة ، كحجر ، وفارس ، وعصفور ، وريحان وغيرها من أسماء الرجال . أما أسماء النساء فمنها ريحانة ، وعصفورة ، وعفارة ، وضرمه وعطرة وغيرها من الأسماء . ويا حبذا ان يتصدى أحد الباحثين في المنطقة لمثل هذه الأسماء وغيرها فيدرسها مع تتبع جذورها من العهود القديمة ، ثم أيضا يدرس علاقتها بالسكان والبيئات التي تستخدمها .

(٣٦) ابن الجاور ، ج ٢ ، ص ٢٣٤ .

(٣٧) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٢٣٢ ، ولازال الكرم صفة حميدة بين أهالى بلاد تهامة والسراة الى وقتنا الحالى .

(٣٨) للمزيد من التفصيل عن شيخ القبيلة ودوره في المجتمع منذ العصر الجاهلى ، انظر . جواد على . الفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام (بيروت : دار العلم للملايين ، ١٩٧٠م) ج ٤ ، ص ٥ - ٢٧١ ، ج ٥ ، ص ٢٥٣ - ٣٣٣ .

(٣٩) للمزيد من التوضيح عن ولاية الحجاز وكيف كان بعضهم يعين من قبل الخليفة الأموى أو العباسى في كل من اليمامة والحجاز واليمن ، وأحيانا بلاد البحرين ، انظر . تقى الدين محمد الفاسى . شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ، تحقيق لجنة من كبار العلماء ، (بيروت : دار الكتب العلمية د٠) ج ٢ ، ص ١٦٢ وما بعدها ، انظر أيضا :

G.A. Jrais

"The Governorship in the Hijaz During the Early Abbasid Period.

Ages (مجلة العصور) Vol. (7) January, 1992.

(مجلة المؤرخ العربى)

صيل عن
٤٨ هـ .
١٨٦ -

الاسلامية

دما عين
انظر .
بيروت :
كامل
والنشر،

ناسرو)
تبات -

يعقوب
ياض :
٢٥٥ -

(٤٠) والكورة ، أو المخلاف ، أو العمل جمع أعمال ، تساوى ما يسمى اليوم بالحافطة ، أو الامارة ، وكأنت ولا زالت تسمى فى المغرب بـ (الحوز) وفى الجزائر بـ (العمالة) .

(٤١) أحمد بن يعقوب اليعقوبى . كتاب البلدان ، تحقيق ، أم . دى غوى (ليدن : مطبعة بريل ، ١٢٨٩٢م) ص ٣١٦ .

(٤٢) المصدر نفسه ، ص ٣١٦ ، ٣١٨ .

(٤٣) المصدر نفسه ، ص ٣١٧ - ٣١٨ .

(٤٤) أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله بن حرداذبة . كتاب المسالك والممالك ، تحقيق ، أم . دى غوى (ليدن : مطبعة بريل ، ١٣٠٦هـ / ١٨٨٩م) ص ١٣٣ .

(٤٥) المقدسى ، أحسن التقاسيم ، ص ٦٩ - ٧٠ ، ٨٨ .

(٤٦) محمد بن محمد بن عبد الله الادريسى . كتاب نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق (بيروت : عالم الكتب ، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م) ج ١ ، ص ١٤٥ .

(٤٧) انظر ، الفاسى ، شفاء الغرام ، ج ٢ ، ص ١٦٢ وما بعدها .

(٤٨) ولزيد من التفصيلات عن اتصال أهل تهامة والسراة بأسواق مكة ، انظر الأزرقي ، أخبار مكة ، ج ٢ ، ص ٢٣٩ ، ٢٤٩ ، ٢٦٠ : محمد بن أحمد بن جبير . رحلة ابن جبير (بيروت : دار الكتب - دت) ص ١٠٢ وما بعدها .

(٤٩) ناصر خاسرو ، الرحلة ، ص ١٣٦ .

(٥٠) ابن جبير ، المصدر السابق ، ص ١٠٢ - ١٠٥ .

(٥١) ابن المجاور ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٧ .

(٥٢) انظر ابن بطوطة ، الرحلة ، ج ١ ، ص ١٥٢ .

(٥٣) للمزيد من التفصيلات عن توافر الحبوب والخيرات فى بلاد تهامة والسراة ، انظر : عرام بن الأصبغ السلمى : كتاب أسماء جبال تهامة وسكانها ، تحقيق ، عبد السلام هارون (القاهرة : مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٣٧٤هـ / ١٩٥٥م) ص ٤١٧ ، ٤٢٠ - ٤٢١ : القزوينى ، آثار البلاد ، ص ٨٩ : ابن جبير ، الرحلة ، ص ١٠٤ : ياقوت ، معجم ، ج ٣ ، ص ٢٠٥ : ابن المجاور ، ج ١ ، ص ٢٦ - ٢٧ .

(٥٤) الهمدانى ، صفة جزيرة العرب ، ص ٢٧٧ - ٢٧٨ ، ابن جبير الرحلة ، ص ١٠٤ : القزوينى ، آثار البلاد ، ص ٨٩ .

- (٥٥) المسالك والممالك ، ص ١٣٤ - ١٣٦ ، ١٤٨ - ١٤٩ .
- (٥٦) أبو الفرج قدامة : نبد من كتاب الخراج ، ضمن كتاب المسالك والممالك لابن خرداذبة ، تحقيق ، أم . دى غوى (لندن : مطبعة بريل ، ١٣٠٦هـ / ١٨٨٩ م) ص ١٨٨ - ١٨٩ ، ١٩٢ - ١٩٣ .
- (٥٧) أبو اسحاق الحربى . كتاب « المناسك » وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة ، تحقيق حمد الجاسر ، (الرياض : دار اليمامة لبحث والترجمة والنشر ، ١٤٠١هـ / ١٩٨١ م) .
- (٥٨) البلدان ، ص ٣١٧ .
- (٥٩) صفة جزيرة العرب ، ص ٣٣٩ - ٣٤١ .
- (٦٠) أحسن التقاسيم ، ص ١١١ - ١١٢ .
- (٦١) نزهة المشتاق ، ج ١ ، ص ١٤٥ - ١٤٨ .
- (٦٢) أجمعت المصادر على ذكر أغلب المحطات التى تقع على الطريق الجبلى السروى ، أما الطريق الساحلى فقد ذكرته بعض المصادر ، لكن ظهر بعض الاختلاف فى ذكر أسماء بعض المحطات على تلك الطريق ، ولهذا الأمر الحقنا بالبحث ضميمتين ، الاولى تبين أغلب أسماء المحطات التى وردت فى المصادر التى استقيناه منها بحثنا حول هذا الطريق ، والثانية تبين أسماء المحطات التى وردت فى بعض المصادر دون المصادر الأخرى .
- (٦٣) الهمدانى : المصدر السابق ، ص ٣٣٩ - ٣٤٠ .
- (٦٤) المصدر نفسه ، ص ٣٤١ .
- (٦٥) ابن خرداذبة ، المسالك ، ص ١٣٤ - ١٣٥ .
- (٦٦) وطلحة الملك لازالت الى يومنا هذا تعرف باسم قرية طلحة ، وتقع فى الأجزاء الشرقية من طهران الجنوب فى بلاد قحطان ، والى الشمال من مدينة نجران .
- (٦٧) قدامة ، المصدر السابق ، ص ١٨٨ - ١٨٩ .
- (٦٨) الادريسى ، نزهة المشتاق ، ج ١ ، ص ١٤٥ - ١٤٦ .
- (٦٩) وقد يعود رخاء هذه المدن الى موقعها التجارى ، وكثرة القادمين اليها ، لبيع سلعهم ، أو لشراء سلع منها ، أو للمبيت فيها ، والانفاق طيلة اقامتهم بها . وبعض هذه المحطات مثل (بيشة ، ورنية ، وتربة ، وغيرها) مازالت الى يومنا هذا تؤدى خدماتها للمارة بها ، وكلما تحسنت خدماتها ، كلما أدى الأمر الى ازدهارها .

اليوم

جزائر

لندن:

الك ،

فخراق

انظر .

بير .

سراة ،

قيق ،

١٣هـ /

ببير ،

ص ،

حطة ،

(٧٠) للمزيد من التفصيل عن أحوال البريد خلال العصر العباسي وما جرى عليه من اصلاحات ، انظر • حسن إبراهيم حسن • تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي (القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦٤ م) ج ٢ ، ص ٢٦٨ - ٢٧١ •

(٧١) والأمر الذي يجعلنا نجزم بأن تلك الطريق حظيت ببعض الاصلاحات ، وبخاصة ، خلال العصور العباسية الأولى ، هو ما بذله خلفاء بني العباس الأوائل في اصلاحات بعض الطرق الأخرى ، كطريق العراق الحجاز ، أو طريق العراق الشام الحجاز أو غيرها ، ثم ان بلاد اليمن كانت من الأجزاء المهمة لدى خلفاء بني العباس الأول لتكون تحت حوزتهم فكانوا يرسلون اليها الولاة وغيرهم من موظفي الدولة ، بل ويسعون الى قمع أى ثورة تظهر فيها ، وربما نتج ذلك الاهتمام عن حرصهم على ضم شمل دولتهم ، بل وعن معرفتهم بغنى أرض بلاد اليمن وما بها من خيرات قد تعود زكاتها وجبايتها الى بيت مال المسلمين فى بغداد •